رواية الشقيقتين

للاب متري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبلُ)

ولما لم يبقَ في العاصمة ما يستلفت انظار سيّاحنا وتصبو لمشاهدته العين شرعوا لترويح النفس بامتطاء الجياد ذهابًا الى الارباض فزاروا مَرْتون واطلال دِلْف وأُولمبية. امّا شرل فقد عُهد اليه القيام بادارة وتنظيم شؤون هذه الرحلات التي كان بمعارفه الواسعة واساليبه الفنّية يزيدها رونقًا ولذّةً بحيث تتوفّر فيها الفائدة والانبساط

بل كان كأنّهُ تقمّص من الحينة ثوبًا جديدًا في تلك الديار العظيمة بتاريخها. اجل انّهُ بالوقوف لدى معاهد اليونان واطلالهم تتنبّه شعائر علماء الآثار القديمة وتزداد فيهم امال التأمل والاستطلاع. فلا غرو والحالة هذه اذا ما رأينا شرل متغاضيًا عن جميع المشاغل الّا العلم ولذلك فانّ شقيقيه لم تكونا لتلفظا باسم وردة الّا فيما ندر وقد عادت سيماؤهُ تتدفّق طلاقةً وهشاشةً وملامحهُ تشير الى الرصانة والثبات وهي الصفات الخليقة باهل السياسة. وليس هذا فقط بل انّهُ اجاب دعوة الملك جرج والملكة أولغا الى حضور الحفلات الشائقة التي اقيمت في القصر الملكي فاستقبلهُ الملك والملكة بحفاوةٍ ولُطف لما علماهُ من حوادث امورهِ المحزنة وهكذا اخذ جرح قلبهِ الصادق في الالتئام والانجبار رويدًا رويدًا دون ان يشعر بالامر

٧

وقد خطر للبارون في آخر جولاتهِ في اليونان ان يذهب لمشاهدة « الميتيور » (Mé-téores) وهي اديار قائمة في ابهج واجمل مواقع تساليا. وقد عرض هذا الخاطر على رفقائهِ فوقع لديهم احسن موقع

وبناء على ذلك فانهم نحو منتصف شهر اذار شخصوا الى البيرة ومنها ركبوا سفينة اقامت بهم مارّةً بطريق « فالير » ورأس « سونيوم »

ووقفت لاوّل مرّة لدى ارغاستيريه حيث مناجم « لوريوم » الشهيرة. امّا هذه المدينة فتبدو عليها مظاهر الهمجية والبداوة. وترى مداخن كبيرة منتصبة فوق معاملها. وكان

الدخان المتصاعد منها يجعل سماءها اشبه بسماء البلاد الشمالية المتلبدة فيها غيوم الامطار. على انَّها لا توافق سماء شرقيـة تبهج الابصار بصفائها الرائق وجمالها الفتَّان كما هو الغالب على جزائر اليونان

ثم دخلت السفينة الخليج الفاصل بين البلاد اليونانية وجزيرة أُوبي وهو الخليج المتسع في اوَّلهِ المتضايق رويدًا رويدًا حتى مدينة كَلْسِيس حيث يتَّصل الشاطئان بجسر يمكن تدويرهُ. وفي هذا الموضع يبدو لك مشهد غريب من المدّ والجزر وذلك انَّ جري الماء يندفع برهةً من الشمال الى الجنوب ثم يرجع الى الوراء.

ثم وصلت السفينة غلوص (ڤولو) احد ثغور تسالية البحريَّة وهي مدينة كثيرًا ما ورد ذكرها في اخبار الحرب الاخيرة التي نشبت بين الدولة العثمانية واليونان

ولا بُدَّ من القول ان غلوص انما هي باب تلك الولاية كلها على ان اصحابنا اي البارون ورفاقه لم يطيلوا المكث فيها اذ ما لبثوا ان ساروا في وجهة لاريسَّة على قطار السكة الحديدية فوصلوا تاني يوم كالاباكا وهي المحطَّة التي ينتهي بها الخطُّ الحديدي لدى صخور «ميتيور» قريبًا من حدود البلاد العثمانية

ان الجائل في تلك الربوع الجميلة يرى وراء كالاباكا على مسافة من الخانق التي يستطرق فيها نهر پينايوس عددًا عديدًا من الصخور العظيمة الهائلة نحتتها الادهار ونقشتها الازمنة والاعصار ورسمت منها المياه المتدفقة عليها رسومات متشكلة متنوعة. وعلى قِنان كثير من تلك الصخور بناياتٌ عالية الدعائم وهي المعروفة باسم «ميتيور» اي الصوامع المبنيَّة في الهواء. فهذه الاديرة هي اشبه باعشاش النسور قائمة على شواهق الصخور لا يُرتقى اليها بسبيل سابلة

على ان من اراد الذهاب الى تلك الاديرة فعليه ان يجلس في قفةٍ مشدودة الى طرف حبلٍ طويل يأتي الرهبان فيرفعونهُ الى فوق بواسطة بكَرة. ذلك هو «المصعد» القديم الذي ما برح مستعملًا على بساطتهِ في اديرة تسالية «الهوائية» في ايَّامنا هذه.

فاخذ اصحابنا في الصعود على الطريقة التي مرَّ بك ذكرها فاحسُّوا بالدوار لان الصخر الذي صعدوا لدى حائطهِ كان مرتفعًا جدًّا يبلغ علوُّهُ زهاء مائة متر فضلًا عن كون ثقل انسانٍ واحد او اثنين لا يكفي لتركيز الحبل على خطٍّ عموديّ. فيحدث عن ذلك انَّ الصاعد على هذه الطريقة يرتفع تارة بسرعةٍ كلِّية وتارة يميل ذات اليمين او ذات اليسار تبعًا

لصفقات الهواء ثم يصادم الصخر مباغتة حتى اذا بلغ السطح تقدّم راهب وبيده خشبة طويلة محاولاً جذبهُ اليه . ولمّا كان الراهب يخشى على نفسه من السقوط في الهوّة فتراهُ يشرع في اجتذاب الصاعد اليه بتأنٍ وروية . وربّما اعياهُ التعب فيعود الى مقرّه ليستريح ويبقى ذلك الصاعد المسكين يتمايل في الفضاء على ما يشاء الهواء منتظراً قوّة جديدة تجذبهُ الى الداخل . وقد كان صعود اصحابنا في هذا المصعد بطيئاً جداً وكثيرًا ما اوشكوا ان يصادموا الصخر

على أنهم بلغوا السطح وذلك بعد ان اقبل الى آلة الجذب هذه ثلاثة من الرهبان في سنّ الشيخوخة اجسامهم ضئيلة نحيفة ووجوههم متغضّنة وظهورهم أحنتها الأيام . فلما رفع المسافرون الأربعة صاحبتهم الرهبان الثلاثة بهشّة وحرارة قلب الّا ان تلك الحرارة فترت بعض الفتور عند نظرهم النساء وعند ما لحظ اولئك الرهبان الارثوذكس ان ضيوفهم ليسوا من جماعتهم . ومحال يادر شرل فقدّم لرئيس الرهبان رسائل التوصية من وزير المذاهب ومن مطران اثينة وعندئذ اخذ الرهبان في ابداء الحفاوة والانعطاف مع شواهد الحيّة والتودّد

وكان شرل مبتهجاً فرحاً متأملاً بذلك المصعد وما احدثهُ من التاثير في نفوس رفاقه وشرع يتفقّد معاهد الدير جميعها فتارةً يسأل الرهبان مستفهماً عن الحوادث مستطلعاً طاعمهم فيما أشكل عليه وتارةً يشاهد بنظارته ما حول الدير من المشاهد الرائعة التي لا يمكن استجلاؤها بالعين المجرّدة . وقد استمال اليه قلوب الرهبان واستهوى ألبابهم بمعرفته اللغة اليونانية تمام المعرفة وبرقّة حاشيته وسلامة ذوقه كما أنهُ اعرب عن محبته لهم واعتباره مقامهم وقدّم لهم من لفائف التبغ (السيكارات) حيث كانوا مولعين بتدخينه لانّ التدخين كان اللذّة العالمية الوحيدة التي كانوا متمتعين بها وهم يظهرون التجرّد عمّا سوى ذلك من الامور الارضية . وكان شرل باثناء تفقده قلالي الدير عثر على كتاب يوناني خطي قديم فبادر الى سرقته واطلعها على ما فيه من الرسوم والنقوش

وعند المساء قدّم الرهبان لضيوفهم مأدبة العشاء وكان اخصّ ما عليها من الطعام الزيتون والجبن وبعض اثمار يابسة وباثناء الطعام اخذ راهبٌ متقدّمٌ في السنّ يقصّ على الضيوف اخبار البلاد وحوادثها فسُرّ البارون بذلك منتهى المسرّة . وقد استرسل هذا الراهب المخبر في الكلام عن « ايتاقورس » فقال عنهُ أنهُ غول يقتات بالنحوم البشريّة وانّهُ في كل شهر كانت

تُقدَّم لهُ فريسة يلتهمها الى أن جاءت نوبة اسرة ملك تلك البلاد بتقديم الفريسة. وكان ذلك الملك شيخًا لهُ بنتان شقيقتان توأمتان عمر كلٍّ منهما ١٨ سنة متشابهتان لطفًا وجمالًا اسم احداهما صوفية والاخرى إليس. فاحتار الملك فيمن يختار منهما ليقدّمها للغول. وبالقضاء والقدر اصابت القرعة اليس التي كانت اذ ذاك مخطوبة لامير من امراء ايبروس فأخذ اليأس من إليس كلّ مأخذ. ولما نظرت صوفية ما كانت عليهِ شقيقتها من الحزن والقنوط تحرّك دم النخوة في عروقها وعزمت عزمًا دونهُ شجاعة الابطال. وذلك أنها ليلة اليوم الذي فيهِ وجب على شقيقتها ان تُقرَّب للغول اياقروس توارت صوفية عن قصر ابيها وانطلقت في سبيل الجبل متجهةً الى المغارة التي كان الغول مختبئًا فيها. ولكن رغمًا عن شجاعتها واقدامها قد اخذ منها الخوف كل مأخذ فاكفهرّ لونها وارتعدت فرائصها فصارت اشبه بالخيال. . . . فعندما وصل الراهب عند هذا الحدّ من الخبر اصفرّت الوان البارون وشرع قلبهُ يخنق فلحظ منهُ القنصل ذلك وتحال تظاهر انهُ منحرف الصحة فنهض عن المائدة ونهض معهُ الجميع سائرين وراءهُ

ولما كان صباح اليوم الثاني باكرًا غلسًا زايل قومنا دير القديس « بَرْنَم » وانطلقوا يزورون ساحة الوغى الشهيرة في قَرْسالة. ولما كان البارون عالمًا بالآثار القديمة على ما مرَّ بك الخبر اخذ يدلّ رفاقهُ على اماكن ومحال الموقعة الشهيرة التي انتهت بها الحرب بين قيصر وبومبه وكان يقصّ عليهم حوادثها وباثناء محادثته عادت اليهِ الطمأنينة وصفاء البال بحيث ظهر للحاضرين ان ما كان حلّ بهِ بالامس من التأثر زال تمامًا. ثم عادت الجماعة الى العاصمة (اثينة) بطريق لاريسة وغولص (ستأتي البقية)

شذرات

مدينة ينسب بناؤها الى الفينيقيين

من ذا الذي لم يسمع ذكر موناقو تلك البُلَيدة المستقلة الواقعة على شاطئ البحر المتوسط المحاطة بحدائق خضرة ورياض نضرة تظلّلها اشجار شرقنا العزيز كالبرتقال والليمون والخرّوب. لا نظنّ احدًا يجهل وجود هذه المدينة الجميلة. الّا انّ نسبة بنائها الى الفينيقيين امرٌ تقرّر حديثًا يحسن بنا ايرادهُ افادةً لمحبي التواريخ القديمة لا سيما لمن ينتمي من قرائنا